بسم الله الرحمن الرحيم

الأمير عبد القادر الجزائري : رائد الجهاد والحوار مع الآخر خلال القرن ١٩ م

أ.د. بوعلام بلقاسمي
قسم التاريخ . كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران . الجزائر

مقدمة :

في زمن الترويج لـ "صدام الحضارات" وفي ظل تكاثر الحملات التي تريد النيل من الإسلام دينا وحضارة وثقافة وقيما، سواء بسبب تكالب غير المنتسبين إليه أو جراء سوء تصرف أبنائه، جاءت هذه الندوة الفكرية في الوقت المناسب لتسلط الضوء وتزيل الغبار عن موقف الفكر الإسلامي من الحوار مع "الآخر" وإبراز دور علماء الإسلام قديما وحديثا في بلورة وتجسيد هذا الحوار.

لقد اخترنا لهذه المناسبة أن نتناول شخصية الأمير عبد القادر الجزائري (١٨٠٧-١٨٨٣م)، رائد الجهاد ضد المستعمر الفرنسي بين ١٨٣٢ و ١٨٤٧م وأحد أكبر رواد الحوار مع المسيحيين خلال القرن ١٩م.

أشتهر الأمير عبد القادر الجزائري في كتب التاريخ العربية ببطولاته وقتاله المستميت ضد المستعمر الفرنسي طيلة ١٥ سنة، وعرفه الشعب العربي مناضلا وطنيا وبطلا صنديدا ومجاهدا في سبيل الله، قبل أن يكتشف فيه الفقيه المُلّم بشتى أنواع العلوم الدينية والدنيوية، وصاحب فكر وقلم وشعر.

فالأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري هو شخصية تاريخية استثنائية ميزت التاريخ العربي الحديث ونموذجا عميقا عن صورة الحوار الحضاري والتسامح الديني مع "الآخر". لقد كان الأمير عبد القادر عالما متحررا من قيود التقليد المميت ومتفتحا على فكر "الآخر" (أوروبا التي كانت تعيش ثورة صناعية وفكرية كبيرة) في وقت كانت الحضارة العربية الإسلامية تعيش فيه نكسة وركودا لم تعرفه من قبل.

لقد تعددت مواهب الأمير عبد القادر بسبب اغتناء شخصيته بالتجارب والمعارف التي جعلت منه إنسانا استثنائيا حربا وسلما، إذ أن بلاءه في ساحة القتال كان له ما يعادله على صعيد

القدرات العقلية والروحية، وذلك ما أتاح له أن يترك لنا أثرا فكريا ورصيدا إنسانيا قليلا ما نجده عند رجال الحرب.

١- مفهوم الإنسان عند الأمير :

والحق أن حياة الأمير عبد القادر السياسية تعرضت لأكثر من تقويم سلبا وإيجابا. وليس في ذلك ما يدعو إلى الغرابة: فهو الأمير الذي حارب فرنسا لمدة سبعة عشر عاما، وهو في نفس الوقت الذي أقام صداقة مع نابليون الثالث الذي أفرج عنه وسمح له بالتوجه إلى المشرق والإقامة به، وخصص له مبلغا يدفع له سنويا كتعويض على حجز حريته والغدر به؛ وهو الذي ذكرته تقارير القناصل الأجانب بصفته حامي النصارى صاحب الشخصية العربية الإسلامية المرموقة. وقد ظل طوال حياته يعامل كرجل دولة، وهو -إلى جانب هذا كله- رجل فكر متبحر في علوم الدنيا والدين. وقد كانت له آراء خاصة في قضايا العقل والأخلاق واللغة والتصوف، مما يجعله أحد أبرز رجالات النهضة العربية المبكرين، على تمايزه عن جلهم بأنه رجل سياسة وفكر في آن واحد.

مرت حياة الأمير عبد القادر بعد توليه إمارة الجهاد ضد الجيوش الفرنسية الغازية عام ١٨٣٢ إلى غاية انتقاله إلى المشرق الإسلامي بمرحلتين أساسيتين:

الأولى : حالة من الصخب الذي ينتج عن الحروب والمعارك وقسوتها، وهي مرحلة المقاومة والجهاد،

الثانية : حالة من السكون الذي خيم على السجون التي مر بها الأمير، تخللتها قراءات مكثفة ومتنوعة وحوارات هادئة مع زواره حول قضايا الدين والتسامح والحرية والكرب والمرأة والخيل وما إلى ذلك. وما يميز الأمير في هذه الفترة أنه يظهر للجميع بغير منظوره التقليدي المتمثل في القائد الحربي وزعيم الطريقة القادرية في الجزائر، فيكتشف "الآخر" أن الأمير يتصرف بسلوك عقلاني واقعي مطبوع بنكران الذات وتواضعها، كما أنه لا يتوانى في إظهار حدود معارفه الدنيوية والاعتراف بالتفوق العلمي والمادي لذلك "الآخر".

ولنا في سيرة الأمير عبد القادر المثل الحي في كل ذلك، لأنه يمثل خلال القرن ١٩م في اعتقادي، الشخصية الإسلامية التي اختصرت فيها كل الجوانب التي تمثل مجد الحضارة العربية الإسلامية وقيمتها التاريخية والعلمية والسياسية والاجتماعية. هذا جانب ليس هينا في شخصية الأمير عبد القادر وكانت ربما تكفيه هذه الخصال الحميدة التي جلبت له التقدير والاحترام من أعدائه بالدرجة الأولى، وأضاف إليها مناقب رجل العلم المتفتح على العالم فكانت شخصيته السمحة من صميم المثل العليا التي تسعى البشرية اليوم إلى ترسيخها للخروج من التعصب

الفكري والممارسات الهمجية والوصول إلى علاقات إنسانية فاضلة بين كل أبناء البشر، لا فروق ولا حواجز تمليها الديانة أو الثقافة أو الحضارة أو غير ذلك مما كان سببا في مآسي بني البشر على مر القرون.

ألم يسبق الأمير عصره في فرض الحوار البناء بين الأديان والثقافات؟ ألم يكن في قمة الشيم الإنسانية والقيم الروحية للإسلام الحق عندما تعرض بنو البشر للاضطهاد في أحداث دمشق الدموية في ١٨٦٠م؟ ألم يكن الأمير في الصف الأول بين من أحبوا البشرية دون تمييز، وهو في هذا يحقق ما حققه المسلمون الأوائل وما هو من صميم مقاصد الرسالة المحمدية؟

إن الدوافع التي جعلت الأمير نموذجا للسماحة المطلقة، والتفتح العاقل، والإطلاع الواسع، والرحمة بجميع الخلق، هي تخلقه بالقرآن الكريم عملا بقوله تعالى: [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن] (العنكبوت٤٦). ومن القرآن تعلم الأمير الإنصاف والموضوعية والأدب في الحوار مع المخالفين في العقيدة، فليس هناك دعوى مسبقة باحتكار الحقيقة بل تحكيم للمنطق السليم بالبرهان المقنع.

إن القارئ لتراث الأمير يجد دون عناء كبير إشارات واضحة لحقيقة مشاعره الإنسانية. فقد تحدث الأمير عن الإنسان الكامل بالمعنى الصوفي، ومفهوم الإنسان الكامل كان يتلبس في حسه صورة الإنسان مطلقا، فكان يتجسد مثلا في تلك الأحوال من العظمة التي عبر عنها رفاقه من رجال الجهاد البواسل، إذ كانوا بتضحياتهم الخارقة يمثلون الإنسان الكامل في مضمار الفداء وبذل النفس نصرة للحق[١].

وكان مفهوم الإنسان الكامل يجد صورته كذلك في شمائل الرحمة والعطاء الإنساني في سلوك بعض رجال الكنيسة وبعض الإنسانيين الغربيين الذين وضعهم القدر في طريقه سواء خلال الحرب أو بعد خروجه من وطنه إلى أرض المنفى.

وقابلية الإنسان –من حيث هو إنسان- للتعلم والتمدن، هي حقيقة أخرى يقرها الأمير مبتعدا بها عن منطق التصنيف العرقي والجغرافي الذي ظل الفكر القديم يقسم به المجموعات البشرية ويُقوِّم قابليتها وقدراتها العقلية والمدنية[٢].

على أننا نجده لا يلبث أن يضرب عن تلك الأفكار التي ورثها كمسلمات عن الثقافة القديمة فيؤكد أن "الأشخاص الإنسانية مشتركة في الإنسانية ومتمايزة بخصوصيتها"[٣]. وتلك هي نظرة الإسلام التي لا تفرق بين الأبيض والأسود إلا بالتقوى.

٢- الأمير والحوار مع " الآخر" :

اعتمد الأمير عبد القادر وسيلة الكتابة وأسلوب المخاطبة في محاورة "الآخر"، وقد ذكر أن الإنسان يحتاج إلى" أن تكون له قدرة على أن يُعرِّف الآخر الذي هو شريكه، ما في نفسه بعلامة وضعية، وهي إما إشارة وإما لفظ وإما كتابة"[٤]. ففي تدوينه لسيرته الذاتية[٥] تطرق الأمير عبد القادر إلى عدة موضوعات شملت الأنساب والعقيدة الإسلامية وموقفها من النصرانية والروم وبعض تاريخ الأمة العربية. وقد اجتنب فيها أسلوب المفاخرة بينما أبرز فيها مظاهر التقارب والمودة بين الإسلام والمسيحية، مما يدل على ذهنية تفتح ثقافي واجتهاد في سبيل التفاهم بين الأديان والمعتقدات عند فئة من الفقهاء المسلمين لم يعرفوا ثقافة غير الثقافة الإسلامية البكر التي لم تلقح بعلوم دخيلة إلا ما أدمجته الشريعة من منطق في التوحيد، أو حساب في الفرائض، أو معلومات عن عقائد غير المسلمين من خلال كتب الملل التابعة لعلم الكلام.

قد اجتهد الأمير عبد القادر في جعل أسلوبه في جل كتاباته متقاربا مع أسلوب "الآخر" الذي يحاوره والذي يمارس العربية ببعض الصعوبة. فاستعمل مثله كلمات أجنبية مثل: ***الري*** (الملك) و***القيرا*** (الحرب)و***القوازيط*** (الصحف) الخ....

وقد استعمل الأمير عبارات شعبية من الدارجة الجزائرية حتى في النصوص الرسمية والمراسلات الهامة والاتفاقيات التي أبرمها مع القادة الفرنسيين، رغبة في الإفهام والفعالية مع "الآخر". ولا يُشك في مستوى الأمير عبد القادر الثقافي واللغوي وكذلك تمكن كُتّابه من العربية وأسرارها، وخير دليل على ذلك أشعاره وكتابه المتوج لأعماله الفكرية الأدبية الذي هو كتاب "المواقف"[٦].

فمضمون مذكراته التي كتبها بإلحاح من بعض زواره الفرنسيين في فترة الأسر، وإن كان يدور حول شخص الأمير ونسبه وانتمائه الشريف وذكر ما جرى بينه وبين الجيوش الفرنسية، إلا أنه موجه منذ البداية إلى الدفاع عن أفكار خلفية يمكن تلخيصها في ثلاث محاور شكلت جوهر الحوار بينه وبين "الآخر" :

الأول: إثبات صحة الرسالة المحمدية وبيان احتوائها لجميع الرسائل السماوية بما في ذلك المسيحية، وبالتالي رسم آفاق واسعة لإمكانية التفاهم بين المسلمين والنصارى.

الثاني : الدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية وإبراز أصالتها التاريخية، و"اجتماعها مع حضارة الروم في إبراهيم" وذكر ما كان بين العرب والنصارى من مخالطة[٧]. جديرة بأن تبعث اليوم علاقات جديدة للتعاون بين الحضارتين.

الثالث: عدالة قضيته المتمثلة في المطالبة بتنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع ابن ملك فرنسا لنقله إلى ديار الإسلام بالمشرق عندما جنح للسلم.

ومن المناسب أن نسجل أن الرسالة الموسومة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" التي وجهها الأمير إلى المجمع العلمي الفرنسي بعد أُدرج اسمه في قائمة أعضائه البارزين، قد حُدد إطار موضوعها الفكري ضمن دائرة ثلاثية هي كذلك، محورها العقل والعلم والكتابة، إذ من خلال تناوله هذه الركائز الحيوية أراد الأمير أن يُعرِّف "الآخر" بوجهته[٨]. فالعقل والعلم الشرعي والكتابة، هي الركائز التي يقوم عليها عمران الأرض، وبدونها لا يمكن لأي فكر أن ينمو أو يزدهر، فمن هذه العناصر الثلاثة تتولد المعرفة العلمية والفكرية التي تضمن للإنسان التطور وشق طريقه نحو الرقي.

فالعلم المدني متاح وبإمكان البشر والمجتمعات أن تباشره وتحقق فيه أشواطا عن طريق الخبرة والتجريب وتبادل المعارف والمعلومات، لكن العلم الشرعي يظل من شأن الخالق وحده، وتحصيله يتوقف على البعثات السماوية وتواتر رسالات السماء إلى الأرض.

من جهة أخرى ينوه الأمير بالتطور والتفوق العلمي الذي تحقق للأمة الفرنسية (ومن حذا حذوها) في ذلك العصر، ويؤكد أن ذلك التطور لو اقترن باهتمام ديني أو شرعي مماثل لما ضاهاه تطور آخر في الأهمية والتكامل: " فلو استعملوا مع هذا (العقل العملي) العقل النظري في معرفة الله،، وصفاته، وفي معرفة حكمته في خلق السماوات والأرض وما يلزم للإله من الكمال، وما يتقدس عنه من النقص، وما يمكن ، في حقه، أن يفعله، وأن لا يفعله... لكانوا حازوا المرتبة، التي لا تُدرك، والمزية التي لا تُشرك ولكنهم أهملوا استعمال هذه القوة النظرية، حتى إنهم لا يُسمع منهم لها ذكر ولا يُعثر عليها في كتبهم ناظر..."[٩].

أما الكتابة في نظره فهي "عين العيون، بها يبصر الشاهد الغائب، وفي الكتابة تعبير عن الضمير، ولذا قيل القلم أحد اللسانين، بل الكتابة أبلغ من اللسان، فإن الإنسان يقدر على كتابة ما لا يقدر أن يخاطب به غيره، ويبلغ المقصود حيث لا يمكن الكلام مشافهة"[١٠].

ولعل أهم ما يستخلص من نتائج طرح الأمير عبد القادر الذي تضمنته رسالة ذكرى العاقل هو أنه وسع من دائرة الاعتبار بين البشر. فقد لفت الأنظار إلى أن الحضارات التي شيدها الإنسان عديدة، ومواطنها موزعة عبر أنحاء العالم، وهو ما يثبت جدارة الإنسان من حيث هو إنسان وقدرته على أن ينهض بدور البناء وتعمير الأرض. ولا شك أنها عرض لثقافة الأمير وبيان لمقوماتها التراثية والفكرية، وقد أظهر فيها معرفة بتاريخ الأقوام والحضارات والثقافات والأديان.

لقد كان من المقاصد الملحة التي رمت إليها مرافعة الأمير في ما كتبه وجادل به "الآخر" هو تسديد أفكار هذا "الآخر" وتعديل أحكام سلبية حملها خطأ أو نكاية بالإسلام، مثل موقف الغربيين من الجهاد ونعتهم الإسلام بوصمة الدين العدواني، لذا رأينا الأمير يخصص

لأشكال الجهاد مثلا وقفات تكررت في أعماله جميعا تشرح حقيقة هذه الشريعة وتبين مراميها وفلسفتها.

ومما نسجله أيضا هو أن عملية الحوار بين الأمير عبد القادر وبين الفرنسيين قد استرسلت منذ عهد الكفاح المسلح، فقد كانت لقاءاته مستمرة مع قادة الحرب من أمثال الماريشال بيجو **Maréchal Bugeaud**[١١]، وكذلك مع ممثلي الإدارة الفرنسية ومع الشخصيات المدنية والعسكرية، زيادة عن مراسلاته معهم، الأمر الذي يكون قد هيأ الأمير على نحو أكبر إلى النهوض بمهمة الحوار من غير تردد. كما أن نشاط الأمير الدبلوماسي، خاصة مع بعض الدول الغربية مثل إسبانيا وبريطانيا وحتى الولايات المتحدة، والذي نهض به بصورة مباشرة أو من خلال المبعوثين كان حلقة ضمن هذا الجهد التواصلي الذي انعقد بين الأمير وبين العالم الغربي[١٢].

ومن الطبيعي أيضا أن تنعقد الصلة لذلك الغرض ضمن جو من الاستعداد الروحي والعاطفي الذي كانت تعبر عنه مشاعر الأمير. فإظهار المودة، وإشهار الهوية الأخلاقية، والإعراب عن القيم الإنسانية وما يلازمها من تثمين للعدل، وإكبار للأخوة بين البشر، ورفض الظلم والطغيان بين الأمم كانت هي الأرضية التي تتم عليها تلك الاتصالات.

وفي مرحلة السلم تعزز ذلك الحوار مع "الآخر"، لا سيما بعد أن احتُجز الأمير في أسره بفرنسا، فقد كانت السنوات التي قضاها هناك كافية لكي ينعقد فيها الاتصال من جديد بين الحضارتين، من خلال شخصه والجهات التي حاورته[١٣].

ومن البديهي القول أن أسر الأمير قد غير جذريا من طبيعة الاتصال، إذ أن القصد من أي شكل من أشكال التواصل والحوار كان تكييف شروط ذلك الحوار، أي تطبيع الهزيمة، وجعلها قضاء وقدرا. وكان المستعمر قد عودنا منذ دخوله أرض الجزائر على توزيع منشورات تجعل من احتلاله للبلاد قضاء وقدرا ومشيئة أرادها الله ولا مجال لردها أو الاعتراض عليها.

لقد كان "الآخر" يدرك ما كانت عليه الأمة آنذاك من ركون إلى اليأس والقدرية، فسعى من ثمة إلى أن يستغل ذلك الوضع الروحي والسيكولوجي العام على نحو يخدم وجوده في توطيد الاحتلال، من هنا فإن محاورتهم الأمير وهو مأسور، مقيد الإرادة، إنما كان القصد من ورائها هي جعله يتقبل المآل على أنه أمر واقع، لا مجال لتغييره.

بل إن مقاصد ذلك الحوار البعيدة كانت أخطر من ذلك، إذ هدفت إلى إلحاق الهزيمة الروحية النفسية بالخصم بعد أن تمت هزيمته العسكرية.

وبالرجوع إلى الموضوعات التي أثارها مثلا حوار الماريشال دوماس[١٤] **Maréchal Daumas** مع الأمير، وبتأمل فحوى الأسئلة المطروحة حول الحضارة الإسلامية وموقف

الإسلام من المرأة[١٥] ، وبتحسس زاوية النظر التي طرحت منها تلك الأسئلة، نتبين الغاية "الإرباكية" و"التخضيعية" التي رمت إليها روح ذلك الحوار.

وسواء أكان الماريشال دوماس واعيا بما كانت تحمله أسئلته من تجريح أو استنقاص لما كانت عليه مدنية وروحية خصمه، أم أن الماريشال كان خالي الذهن من أي حكم سبقي وأن هدفه كان هو الفهم الموضوعي والمقارنة المبرأة، فالذي لا ينبغي أن يفوتنا هو أن سياق المساجلة كان متفجرا، وأن سائر مستويات العلاقة التي قامت بين الطرفين على قاعدة المنتصر والمنهزم إنما كانت محكومة بمنطق الغلبة الحضارية التي تكشف عنها النزال في الساحة، من هنا اندرجت مادة ذلك الحوار، وأوعزت بالتفاوت، لذا جاء رد الأمير عليها حازما، آية ذلك ما أبداه من تسلح معرفي خاضها به.

ومهما كان من أمر هذا الطرح الذي تواصل من خلاله الأمير مع بعض الدوائر الغربية وسعى إلى أن يضع لبنة على طريق التفاهم والأخوة بين الضفتين، فإن الذي لا ريب فيه هو أن مضمونه الإنساني العالي كان الخطوة الأولى والجادة في سبيل إرساء حوار أصيل بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية الأوروبية.

إن كثيرا من سوء التفاهم الذي يشوش العلاقة ب"الآخر" ويحول دون مدِّ جسور معه مرده إلى عدم فك عقدة الاشتباك في مثل هذه القضايا، والاستعاضة عنها بالمخاتلة والمداهنة.

فيجب الاعتراف أن هناك نقط افتراق توازي ما عند الغير من نقط اقتراب، ويفترض أن تكون الأخيرة وسيلة لردم الفجوة، وطريقا للتأصيل للحوار الجدي انطلاقا منها، وأنه لا يكون فعالا إلا إذا كان مرجعه التواد الذي يستهدف التسامي بالنوع الإنساني على مستوى العلاقة، ويبعده عن التحرك في الساحة الخطأ التي تستهلكه وتستنفذ طاقته وقدراته، فالإنسان بالميزان القرآني إنسان الله المختار لخلافته وعمارة أرضه[١٦].

ولقد تجسدت هذه الأنماط من الطرح في النص القرآني في دعوته لفتح قنوات الحوار مع المختلفين بالتي هي أحسن، وبعيدا عن ممارسة الوصاية على أفكارهم وما يدينون بمصادقه وصوابه قال تعالى: [ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم] (العنكبوت: ٤٦) وقوله تعالى: [قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم] (آل عمران: ٦٤).

إن النص القرآني يستبعد المبادرة بالعدوان أصالة، كما أن الموقف من "الآخر" يرتبط دوما بموقف هذا الأخير من "الأنا الإسلامي" الذي كثيرا ما أملت عليه ظروفه التاريخية أن يتكيف مع طبيعة كل مرحلة ويلبس لكل حالة لباسها: إما نعيمها وإما بؤسها مع الوضع في الحسبان أنه لا يريد إلا الخير ما استطاع إليه سبيلا حتى في أحلك فترات التوتر. ولا شك أن

انغلاق المسلم على نفسه أملته عوامل الدفاع عن المثل والمبادئ لا المصالح والمنافع، كما يفترض البراءة وحسن النية في العلاقة بالخصم ابتداء، وحتى طارئ الحرب يريد به تقرير هذا المبدأ وإقناع الغير المحارب بضرورة التعايش السلمي، تطبيقا لقوله تعالى: [وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم. وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبَك الله هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين](الأنفال ٦١-٦٢). فالجنوح للسلم الذهاب فيه بعيدا تقريرا للمبادئ الإسلامية، وحتى في حال الخديعة ونقض المواثيق لا يجب على المسلم أن يأسف للخيانة لأن طبيعة المشروع الذي يحمله تقتضي منه أن يتجاوز ويصفح وهي قمة الانتصار.

وحتى تحت وطأة شماتة الأعداء الذين نكثوا عهدهم فعوض تركه حرا ليذهب إلى المشرق عند ما وضع حدا لكفاحه سجنوه مع أمه العجوز ونحو المائة من رفقائه الأوفياء، رغم تلك الشدائد المرة لم تتغير سماحة الأمير، وإلى ذلك يشير الجنرال دوماس الذي كان مكلفا بحراسته في السجن: "...إنك ستجده أعظم وأجل في محنته منه في عزه، إنه ما يزال كما عرف عنه يسمو إلى أعلى الدرجات. إنك ستجده معتدلا وبسيطا جذابا متواضعا ثابتا لا يشكو أبدا، معتذرا لأعدائه –حتى أولئك الذين ما زال يمكن أن يعاني على أيديهم كثيرا- ولا يسمح أبدا أن يُذكروا بسوء في حضرته. ورغم أنه قد يشكو عن حق المسلمين أو المسيحيين، فإنهم سواء يجدون منه الصفح.."[١٧].

لقد تصرف الأمير عبد القادر من داخل مرجعياته الفكرية والدينية والحضارية ليصحح بعض الأحكام المسبقة التي أصدرها "الآخر" ضد الإسلام وضد العرب، فنال بذلك مكانة مرموقة في الفكر الإنساني والتراث العالمي بحثا عن سعادة الإنسان في ظل الحرية والقيم والمثل العليا التي يجب أن تتجاوز الأنانيات والسياسات الظرفية التي تعتمد على تحقيق مصالح ضيقة لا تخدم الجنس البشري على المدى المتوسط أو البعيد، بل حتى على الأمد القريب في أحيان كثيرة.

وصحيح أن هذا "الآخر" ارتبطت مواقفه على الدوام بالبدء بالعدوان منذ أن شنت أول حملة حربية على الجماعة المسلمة في المدينة المنورة يبتغي استئصالها، وإلى اليوم تمضي هذه الطبيعة العدائية لهذا "الآخر" حتى أصبح يُنظّر لها. و كثيرا ما مثلت مرجعيته الفكرية منهجا في الهيمنة وبسط النفوذ وما يتولد عن ذلك من عقدة كبرياء الجنس، وإرضاء دوافع الغريزة على حساب الروح.

ومن غير شك أن هذا "الآخر" الذي لا يحرص على مد جسور قوامها العدل والإحسان قدر حرصه على وضع مصلحته الآنية الذاتية على قائمة الأولويات، لا يستحق التوقف عنده

وسيدخل لا محالة في تصادم واحتكاك مع الآخرين، إذ لا أحد ينسحب من مواقعه بالمجان ودون مقابل وإلاّ كان ذلك منه تنازل عن إنسانيته.

إذن فالعلاقة مع "الآخر" كانت دوما محكومة بالحوار كقيمة إنسانية، ومن حيث المبدأ فإن هذا "الآخر" إما أن يكون لنا أخا في الدين أو نظيرا لنا في الخلق.

فالله تعالى يخاطب جميع الناس –لا المؤمن فقط- بقوله:[يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم] (الحجرات١٣)، أي أن اختلاف الأمم في نحلهم ومللهم ومعاشاتهم ينبغي أن يكون حافزا لتلاق المعارف وتكامل المصالح لا للتنازع. ولهذا فالحرب –في نظر الأمير عبد القادر وهو المجاهد المغوار- لا تكون مشروعة إلا في حالة الدفاع عن النفس وفي أضيق الحدود ولا يكون هدفها إلا استتباب وهيمنة السلام.

وأطنب الأمير في العديد من مواقفه –كالموقفين ٦٩ و٧١ مثلا- في بيان أن الجهاد الأكبر هو جهاد هوى النفس الأمارة بالسوء بتحليتها بالفضائل النافعة الرحيمة بجميع الخلق لقول النبي (ص): [إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]. فلنستمع إليه وهو يشرح في الموقف ٧٣ قوله عليه الصلاة والسلام: [رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر] إنه عليه السلام – سمّى جهاد الكفار أصغر، لكون جهاد الكفار وقتلهم ليس مقصودا للشارع بالذات. إذ ليس مقصودا من الجهاد إهلاك مخلوقات الله وإعدامهم وهدم بنيان المولى تعالى وتخريب بلاده. فإن الحق –تعالى- ما خلق شيئا في السماوات والأرض وفي ما بينهما عبثا. وما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، وهم عابدون له، وإنما مقصود الشارع دفع شر الكفار وقطع أذاهم عن المسلمين (...) فلو فرض أنه لا يلحق المسلمين أذى من الكافرين، ما أبيح قتلهم"[١٨].

٣- التسامح الديني مع الآخر:

إن المتأمل في التسامح الديني الذي عرف به الأمير في أثناء وجوده في الجزائر وخارجها في المنفى، يدرك أن هذا المجاهد كان على مستوى من الوعي الإنساني، المتفهم لحقيقة الإنسان والإنسانية التي لا تؤمن بالحدود والحواجز والاختلاف بين البشر. ويتجلى واضحا من خلال مؤلفات الأمير أنه أراد أن يكون صلة الوصل بين الإنسان الشرقي والإنسان الأوروبي، أي بين المسلم والمسيحي، إذ أن " أساس الديانة، وأصولها، خلاف فيها، بين الأنبياء، من آدم، إلى محمد عليه الصلاة والسلام. فكلهم يدعون الخلق إلى توحيد الإله وتعظيمه"[١٩].

فكثيرا ما كان يوجه الأسئلة إلى مجالس العلماء وكبار الفقهاء في المغرب والمشرق وفرنسا؛ وكان يجيب بنفسه عن القضايا التي ترد عليه من كبار علماء الإسلام ومفكري الغرب، مسهبا في الإجابة وحريصا على عدم ترك أي استفسار بدون توضيح.

إن تفتح الأمير على الديانات الأخرى لم يكن يعني أبدا التخلي عن الإسلام أو الدعوة إلى توحيد الأديان، وإنما كان ذلك إدراكا لخصوصية معتقدات ذلك "الآخر". فخلال زيارة أداها لكنيسة المدلين بباريس بعد إطلاق سراحه من الأسر، اعترف الأمير أنه "حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنهم شعب لا دين له، ولكن تبينت غلطتي، وعلى أي حال فإن مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي"[٢٠].

كما أن تدخله في أثناء فتنة ١٢٧٦هـ/١٨٦٠م في دمشق كشف لـ"لآخر" عن طابع الإسلام في التسامح والأخوة الإنسانية الواضح في الشمائل التي اتسم بها الأمير.

هذان المثالان يعبران بصدق عن النزعة الإنسانية التي كان يعتبرها الأمير عبد القادر صلته بـ "الآخر"، أخيه الإنسان. وقد قال في هذا الصدد "لو أصغى إلي المسلمون والنصارى، لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا إخوانا، ظاهرا وباطنا، ولكن لا يصغون إلي"[٢١].

وفي حديثه عن العقائد في رسالة ذكرى العاقل، يبادر الأمير عبد القادر إلى التأكيد أن العقائد الإلهية لا تتنافى في جوهرها ومقاصدها ولا يقصي بعضها بعضا، وإنما هي تتناسخ – رغم أن بعضها مثل اليهودية لا يقول بذلك- ومعنى التناسخ كما يراه الأمير، هو التكييف والتعديل، فـ" النسخ ليس إبطالا (...) وإنما هو تكميل"[٢٢]..

وكان الأمير عبد القادر يعتقد بضرورة حماية حرية العقيدة، هذه الحرية التي هي من أهم أسس الإسلام كما هو واضح في الكثير من آيات القرآن لقوله تعالى: [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر] (٢٩ الكهف)، وقوله تعالى: [ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم] (هود ١١٨-١١٩)، وقوله: [لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي] (البقرة ٢٥٦). يقول الأمير في إحدى رسائله: "إن تطبيق التسامح يتمثل في عدم إكراه أي مؤمن بدين على ترك دينه. وكل الشرائع الإلهية، سواء الإسلام وغيره، متفقة في هذه المسألة"[٢٣].

٤- الحوار مع رجال الكنيسة:

لم يلبث أن حاور الأمير عبد القادر طيلة حياته "الآخر"، متمثلا في عسكريين وإداريين ودبلوماسيين ورجال كنيسة، بل حتى في أعضاء الماسونية التي كانت آنذاك مجهولة

الهوية والأهداف لدى جل المسلمين وظهرت لهم بمظهر المجمع العلمي. من أبرز الذين تحاور معهم الأمير عبد القادر شخصية القس ديبوش **(Dupuch)**، أسقف الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي، وهو الذي ألف كتابا بعنوان "عبد القادر في قصر أمبواز" عام ١٨٤٩ دافع فيه بكل قوة عن الأمير وعن حقه في الحرية واختيار جهة منفاه بدل الأسر في فرنسا، التي لم تف حكومتها بالعهد الذي أعطته للأمير عبد القادر بأن تنقله إلى المشرق؛ فوجد نفسه حبيسا فوق أراضيها.

ولعل فترة السلب للحرية التي قضاها الأمير ورفقاءه فوق الأراضي الفرنسية وما تعنيه من معاناة وآلام وحسرة، قد أنجبت بالمقابل دخوله في حوار حضاري وديني مع زواره من الفرنسيين والأجانب. وبما وفره له السجن من مجال للقراءة والكتابة، بما في ذلك تدوين سيرته التي كان يمليها على كاتبه (مصطفى بن التهامي).

كان المحرك الأساس للحوار هو الدفاع عن أحوال الأمة والتأمل في أحوال المعتدين، والتساؤل عن أسباب الانكسار وعن طبيعة الهوة الحضارية الكبيرة بين الجانبين، وأسباب التفوق التقني والعسكري الهائل للفرنسيين.

هذه الانطباعات نُقشت في ضمير عبد القادر ووعيه، وجعل ذهنه ينصرف من خلال تأليفه الكتب والرسائل التي تنبه –بحذر- إلى أهمية الانفتاح العلمي والفكري على العالم الجديد، وأهمية الإسهام الإسلامي في الحوار الإنساني القائم في العالم، ونشأت –من ثم- صداقات له مع مفكرين وقادة فرنسيين، واختلط بالمجتمع العلمي الفرنسي حتى أبهرهم بسعة أفقه وعمق قراءاته، مثقلة بتراث علمي قديم دحضته مكتشفات علمية جديدة، إلا أن هذا كان يغيب أمام حضور علمه الواسع بقواعد العلوم واللغة والفلسفة والتاريخ والدين والقانون وغير ذلك، ومن ثم اختاره المجمع العلمي الفرنسي، وهو أعظم مجمع علم على وجه الأرض آنذاك لكي يكون عضوا فيه، وهي لمحة لها دلالتها الكبيرة ليس فقط على عمق تقدير العلماء هناك للأمير وإنما أيضا على عمق الصلة والمصداقية التي حظي بها الأمير في الأوساط العلمية والفكرية الفرنسية، ودلالة أيضا على كثافة التواصل مع الحياة العلمية والثقافية هناك[٢٤].

٥- معاملة الأسرى:

وممّا يحتفظ به التاريخ عن الأمير عبد القادر الجزائري هو أنه قد عمل أثناء معاركه ضد الجيوش الفرنسية على احترام مبادئ الشريعة الإسلامية في معاملة أسرى الحرب. من أجل ذلك بادر إلى سن وتطبيق مجموعة من القوانين حددت كيفية معاملة الأسرى والمعتقلين من جيش العدو، ومن ذلك : " أي فرنسي يتم أسره في المعارك يجب أن يعتبر أسير حرب، وأن

يعامل كذاك إلى أن تتاح فرصة تبادله مقابل أسير جزائري". كما حرّم " تحريما قاطعا قتل أسير مجرد من السلاح "، وأن " أي عربي يقدم أسيرا فرنسيا يحصل على مكافأة". كما أمر الأمير عبد القادر بأن " على أي عربي في حوزته أسيرا فرنسيا، أن يعامل هذا الأخير معاملة حسنة. وفي حال شكوى الأسير من سوء المعاملة، لا تسقط المكافأة فحسب بل قد تحل محلها عقوبات ضد العربي "[٢٥].

بهذا كان الأمير أول من وضع تنظيما عسكريا صارما يحظر قتل أو إعدام وتعذيب أسرى الحرب، في وقت كانت ترتكب فيه الجيوش الفرنسية أبشع جرائم الحرب ضد الجزائريين.

وقد عمل الأمير عبد القادر بأحكام الشريعة الإسلامية التي تأمر المسلمين بأن لا يتركوا الأسرى يموتون جوعا، فلا بد من إطعامهم والقسط إليهم. ولما تعذر على الأمير إطعام الأسرى بما كان يطعم به جيشه، قام بتحريرهم بصفة أحادية. ويروي لنا ضابطا فرنسيا أن أحد جنوده أصاب الأمير بثلاث جروح في إحدى المعارك قبل أن يصاب هو بدوره بجراح بالغة الخطورة ويُؤسر، فوُضع في خيمة الأمير وأُعطي سريره الخاص، وقدم له الأمير العلاج لعدة أيام قبل أن يموت[٢٦].

كما أنه لم يتردد في الموافقة على تبادل للأسرى عام ١٨٤١ بعد أن طلب منه القس ديبوش إطلاق سراح أحد السجناء الفرنسيين. وقد رد عليه الأمير عبد القادر بالقول: "لقد كان أجدى بك بوصفك خادم لله وصديق لعباده أن تطلب مني تحرير كل المسيحيين الأسرى وليس أسيرا واحدا فقط". وأضاف مستشهدا بما جاء في إنجيل العهد الجديد "عامل الآخرين كما تريد أن تعامل به" موضحا للأسقف أنه " كاد أن يؤدى مهمته على أحسن وجه لو أنه قام بجميل من هذا القبيل لصالح عدد مماثل من الأسرى المسلمين القابعين في السجون الفرنسية". وقد تمخض عن هذه المراسلات بين الرجلين عملية تبادل لعشرات الأسرى بين الجيشين.

لقي تصرف الأمير عبد القادر استحسانا حتى من قبل أعدائه وذلك بشهادة الكونت دي سيفري، أحد دعاة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، الذي ذكر في كتاب كيف أن "أعدادا من الأسرى الفرنسيين القدامى الذين تلقوا علاجا ومعاملة حسنة خلال فترة أسرهم عند جيش الأمير، كانوا يأتون من مناطق بعيدة إلى قصر أمبواز، حيث كان الأمير معتقلا، لتحيته وتقديم الشكر والعرفان له على تصرفه نحوهم بينما كان هو المنتصر وهم المنهزمون[٢٧].

ولعل هذه المواقف وهذه القوانين التي سنها الأمير حماية لأسرى الجيوش الغازية هي أولى لبنات القانون الإنساني الذي نادى به المجتمع الدولي في بداية القرن العشرين وتجسد في اتفاقية جنيف لعام ١٩٤٩م حول أسرى الحرب. علما أن نشأة مفهوم القانون الإنساني كان يقرن

دوما بالسويسري الشهير هنري ديونان الذي بادر بإنشاء منظمة الصليب الأحمر أمام هول الصدمة التي أصابته جراء فظاعة الحرب بين القوى الأوروبية المتصارعة في منتصف القرن التاسع عشر. وقياسا بما جرى في أوروبا، يمكننا أن نتصور وحشية ما جرى خلال غزو الجيوش الفرنسية للجزائر واحتلالها وارتكابها لأفظع الجرائم. وأمام ذلك بادر الأمير عبد القادر وهو قائد المقاومة الجزائرية ضد الغزاة الفرنسيين، وبصفة أحادية، إلى سن قانون للحد من شراسة الحرب وهذا ابتداء من سنة١٨٣٧.

لم يستنبط الأمير من مبدأ الإسلام الحقيقي التشدد والعنف الذي يراد اليوم إلصاقه بالمسلمين كافة، وإنما استلهم من الإسلام الشفقة والأخوة والإنسانية إيمانا وفكرا وممارسة، فكان أول من يشقون الطريق لتأسيس قانون دولي إنساني جامع وفعال. إن جل القيم الإسلامية التي كثيرا ما تعرضت للقذف من طرف "الآخر" هي التي ألهمت الأمير كمنشد للحوار وللتسامح الديني مع "الآخر". ذلك أن فكر وأعمال الأمير يشكلان دواء للحد من تصاعد اللاتسامح وأن قيمة إسهامه لا تكمن في كون مواقفه مبتكرة بالمقارنة مع الفكر المعاصر له فحسب، بل في التذكير بكونه أحد الرواد لهذا الفكر أصلا بالرغم من تجاهل المؤرخين لهذه المرجعية. فحياة هذا الرجل النموذجي وإنتاجه الفكري ومواقفه الميدانية تنسجم تماما مع الأوضاع الراهنة، خاصة وأنه تطرق قبل حدوثها إلى مواضيع هي فعلا مواضيع الساعة الآن.

ومن المواقف المعبرة عن تفتح الأمير على الآخر واحترامه لدينه ومعتقداته وحقه في ممارستها بكل حرية ودون إكراه، طلبه من أسقف الجزائر تعيين قس يقوم بدور المرشد الديني لدى الأسرى المسيحيين والساهر على مصالحهم، قائلا : "إنني متأكد من أن عملي هذا يرضي ربي إذ أتيح لبعض عباده ذكر ربهم واتباع شرائع دينهم، لأن كل فرد يتبع دين آبائه، والله يحب العباد الصالحين"[٢٨].

٦- إنقاذ المسيحيين بدمشق :

وأكد الأمير عبد القادر أنه رائدا من رواد القانون الإنساني الذي يحفظ حقوق الآخر في أوقات الحرب والأزمة، عندما غامر بحياته وحياة أسرته ورفاقه ووضع سمعته في محك صعب بالإسراع إلى حماية أزيد من ١٥٠٠٠ مسيحي ويهودي سنة ١٨٦٠ من هلاك أكيد في دمشق نتيجة لاندلاع فتنة دينية طائفية. وقف متحديا جموعا هائجة مندفعة لقتلهم ودوى بصوته قائلا: "إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن تكون خنجر جهالة (...)أحذركم من أن تجعلوا لسلطان الجهل عليكم نصيبا، أو يكون له على نفسكم سبيلا"[٢٩].

وكان من بين الذين لجأوا إلى الأمير ليحميهم قناصل فرنسا وأمريكا وروسيا واليونان وألمانيا. وأثار موقف الأمير عبد القادر هذا إعجاب وتقدير وعرفان الدول الكبرى ورجالاتها. وتلقى تهاني الإمام شاميل بالشيشان والملكة فكتوريا والرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن ونابليون الثالث وكبار رجال الكنيسة الكاثوليكية. وكان رد الأمير أنه لا يستحق أي مدح ولا ثناء على ذلك فهو لم يقم حسب قوله سوى بواجبه وذلك من منطلق "إخلاصه للدين الإسلامي واحترامه لحقوق الإنسانية"[٣٠].

ولعلها أول مرة على الإطلاق في التاريخ التي يستخدم فيها تعبير "حقوق الإنسانية" مستبقا في ذلك المفهوم الراهن لحقوق الإنسان، ذلك المفهوم الأسمى الذي كان الأمير مستعدا للتضحية بحياته في سبيله وذلك لصالح قضية تخدم مسيحيين على الرغم من أن مسيحيين آخرين هم الذين غزوا بلاده واستباحوا دماء شعبه. وقد فسر الأمير عبد القادر موقفه بأنه لا يؤاخذ الفرنسيين لأنهم مسيحيون بل لأنهم مستعمرون. وهذا الاعتراف ب"الآخر" عند الأمير منبثق من القرآن الكريم الذي أكد على التنوع كمصدر للتعارف المتبادل والتعايش بين الشعوب.

الخلاصة :

وخلاصة القول أن الأمير عبد القادر خرج من حرب جهادية وقد مني بالهزيمة والخذلان لكنه ما لبث أن تحرك مجسدا ما كان يثوي في باطنه من إيمان عميق بالإنسان وراح يعزز الصلات مع الآخرين، بعد ما كان متوقعا له أن يتجمد في خلوة يطوي الجوانح على حقد ضد من أضاعوا منه الوطن والسلطان، لكنه صمم –بفيض إنساني وروحي كبير- وأبى إلا أن يشق طريقا أمام البشرية يحكمه السلام والاحترام المتبادل، جاعلا من سماحته المثال الذي ينبغي على الإنسانية أن تقتدي به فتتغاضى عن أخطائها وتتداعى إلى المحبة.

ولعلنا نستخلص من مثال الأمير عبد القادر صورة واضحة عن جهاد جيل بأكمله من العلماء والفقهاء المسلمين قدُّر له أن يعيش صراعا حضاريا شاملا، فلم تقل مسؤولياته عن مستوى هذا الصراع في أية ناحية من النواحي العسكرية، أو السياسية، أو الثقافية؛ فحاولوا أن يثبتوا هذا المستوى، لا من خلال البطولات فقط، بل أعطوا الحوار مع "الآخر " والكتابة حول التقارب بين المسلمين والمسيحيين كل ما تستحقه من عناية واهتمام.

وإذا كان لنا من واجب اليوم، فإنه بالذات هذا الذي يؤسس للحقيقة التاريخية لتأخذ مكانها في تفكيرنا وعملنا اليومي لا لتحجب عنا آفاق المستقبل ولكن لتوطد أقدامنا فيه، لنحس ونحسس الآخرين بأننا فروع من شجرة طيبة تضرب جذورها في أعماق التاريخ ولديها من

المعالم في تاريخ البشرية ما يحق لها أن تفتخر به دون مبالغة ولا غلو. فلقد اجتمع لدينا من أسباب الحضارة والثقافة ما جعل حفيظة الآخرين تتوقد حقدا وغدرا، وجعل حضارتنا تقع هدف هجمات متعددة.

وعلينا اتباع بإحسان النموذج الأمثل في التعاطي مع "الآخر" كما جسده الرسول الأكرم (ص) ومن تربوا في مدرسته. فالحوار مع "الآخر" بحسب النصوص النبوية يهدف إلى ربط الناس بخالقهم، وتبليغ ما يراه صالحا للبشرية، وهذا لا يلغي شرط المحافظة على حد أدنى من التواصل لأن هذا الغير إن لم يكن جزءا منا فكل الخير في ألا نخسره، إن المسلم وهو يعيش بهذا النوع من المشاعر الإنسانية السامية مطالب بالتركيز على مواطن الالتقاء واعتمادها مداخل يتسلل من خلالها إلى عقول الآخرين، وكسب ودهم وقلوبهم. وهذا ما حاول القيام به الأمير عبد القادر حتى في أصعب الظروف وأشد الأوقات، تاركا لنا إرثا فكريا وإيمانيا نحن في أمس الحاجة إليه اليوم للخروج بالحوار مع الآخر من دائرة الصراع والتصادم إلى فضاء يحكمه التعايش والقبول بخصوصيات "الآخر" وحقه في الوجود.

الهوامش :

١- الأمير عبد القادر، كتاب المواقف ، دمشق: دار اليقظة العربية، ١٩٦٦، الموقف ١٠٥

٢- الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، بيروت، د.ت.، ص.١١١

٣- نفسه، ص. ٦٢

٤- نفسه، ص. ١١١

٥- مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق: د.محمد الصغير بناني وآخرون، ط٣، الجزائر: دار الأمة، ١٩٨٨

٦- كتاب المواقف، الموقف ٢٢٣

٧- مذكرات، ص٢٠٠

٨ - ذكرى، ص. ١١٧

٩- نفسه، ص ٦٥

١٠- نفسه، ص- ص. ١١٢-١١٣

١١- قائد الجيوش الفرنسية في الجزائر ، أبرم مع الأمير اتفاقية يعترف فيها بسلطة الأمير على أجزاء كبيرة من الجزائر. عرف بدمويته وارتكابه لعدة مجازر ضد الشعب الجزائري

١٢- شارل هنري تشرشل ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة : أبو القاسم سعد الله، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤، ص.١٨٢

١٣- الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر،٢ج، ط٢، بيروت:دار اليقظة العربية، ١٩٦٤، ص.٥١٣

١٤- ضابط فرنسي شغل منصب قنصل لدى الأمير ، ثم كُلِف بحراسة الأمير خلال فترة أسره بفرنسا. كتب ترجمة للأمير بعد انتقاله إلى المشرق

١٥- تحفة الزائر، ص.٧٣٠

١٦- ذكرى، ص. ١٢٢

١٧- تشرشل، ص- ص٢٥٧-٢٥٨

١٨- المواقف، الموقف ٣٦١

١٩- ذكرى، ص.١٠١

٢٠- (تشرشل، ص.٢٦٩

٢١ - Antoine Adolphe Dupuch, Abdelkader au château d'Amboise, Bordeaux 1849,p.125

٢٢- ذكرى، ص.١٠١

٢٣- مجلة مسالك، عدد ٢ جوان/جويلية١٩٩٨، ص.٢١

٢٤- د. يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، تلمسان: ابن خلدون للنشر،٢٠٠٢، ص. ١١٧

٢٥- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر، د.ت.، ص. ٢٣٦

26 - H. Langlois, Souvenirs d'un prisonnier d'Abdelkader, Paris, 1859, p.241

٢٧- Comte Eugène de Civry, Napoléon III et Abdelkader, Paris, 1863,p.30

٢٨- محمود بوعياد، عبد القادر والإنسان، مجلة الثقافة، عدد خاص، ٧٥ ماي/جوان ١٩٨٣ ص٢٨٢

٢٩- جواد المرابط، تصوف الأمير عبد القادر، دمشق، ١٩٦٦، ص.٤٦

٣٠ - Boualem Bessaih, De l'Emir Abdelkader à l'Emir Chamyl, Alger :Dahlab, 1997, p.298